

البعد العلمي للعلوم الإنسانية والاجتماعية

كلود ليفي ستراوس أنموذجا

The scientific dimension of the human and social sciences Claude Levi-Strauss as a model

بوغفالة أحمد*

قسم الفلسفة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران 2 محمد بن أحمد

تاريخ القبول: 2020/07/17

تاريخ الاستلام: 2020/06/15

تاريخ النشر: 2020/07/30

الملخص:

لقد عرفت العلوم الإنسانية والاجتماعية اهتماما كبيرا من طرف الفلاسفة والعلماء من أجل بلوغ التطور والتقدم الذي بلغته العلوم الطبيعية والدقيقة محاولين إضفاء الطابع العلمي والموضوعي عليها، وذلك بدراستها وفق مفاهيم ومصطلحات العلوم الطبيعية، والبحث عن مناهج ملائمة تدرس الظواهر الإنسانية وتراعي خصوصيتها، وهذا ما حاول القيام به الفيلسوف الانثروبولوجي كلود ليفي ستراوس انطلاقا من دراسته للانثروبولوجيا باعتبارها علما يطمح للموضوعية وتكون نموذجا للعلوم الإنسانية لا سيما وأنها تجدد في البنية سندها الإستمولوجي ومنهجها العلمي الذي يسعى إلى بناء النماذج، لأن طموحه هو رفع مستوى العلوم الإنسانية إلى مستوى العلوم الطبيعية الدقيقة، وذلك بتطبيق المنهج البنوي في دراسته للظواهر الانثروبولوجية من أجل بلوغ الدقة و الصرامة العلمية، وإعطاء فهم أوسع وأدق للعلوم الإنسانية والاجتماعية، لأن هذه الأخيرة تحاول أن تجعل من ذاتها منفعة من أجل إعطاء الحلول للمشاكل التي يعاني منها الإنسان .

الكلمات المفتاحية: العلوم الإنسانية، العلوم الاجتماعية، العلوم الطبيعية، النماذج، الفهم، ليفي

ستراوس، التفسير

Abstract :

Abstract :The human and social sciences have known big interest from philosophers and scientist in order to achieve the development and progress of natural and exact sciences ,studying them according to concepts and terms of natural sciences ,and the search for appropriate methods that study human phenomena and take into account their specificities ,and this is what the anthropological philosopher Claude Levi Strauss tried to do from his study of anthropology as science that aspires to objectivity ,and being a model for the human sciences, especially since it finds in structuralism its epistemological basis and Its scientific method which seeks for raising the human sciences to natural and exact sciences ,level by applying the structural approach in his study of anthropological phenomena in order to achieve scientific rigor ,and giving abroad and precise understanding of human and social sciences, because the latter is trying to make itself utility and provides solutions to problems that man suffers from.

Key words: human sciences, social sciences, natural sciences, models, understanding, Explanation ,Levi Strauss,

* الباحث المرسل: بوغفالة أحمد (شهادة الدكتوراه في الفلسفة) قسم الفلسفة ، مخبر الأنساق،البنيات، النماذج والممارسات، جامعة وهران2، محمد بن احمد boughoufala 1971 @ gmail.com

مقدمة:

تعتبر مسألة الموضوعية من بين القضايا الهامة التي شغلت بال وفكر الفلاسفة والعلماء في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية عامة وكلود ليفي ستراوس خاصة من خلال مجال تخصصه الأنثروبولوجيا محاولين إضفاء الطابع العلمي للعلوم الإنسانية، وذلك بدراستها وفق مفاهيم ومصطلحات العلوم الطبيعية والدقيقة، لأن الهاجس الإبستمولوجي للباحثين هو جعل العلوم الإنسانية تحذو حذو العلوم الطبيعية، وذلك من أجل مواكبة التطور العلمي الذي بلغته، والبحث عن مناهج ملائمة تدرس الظواهر الإنسانية، وتراعي خصوصيتها بحيث أصبحت مسألة المنهج في العلوم الإنسانية والاجتماعية من أهم القضايا المتعلقة بهذه العلوم من أجل بلوغ التقدم والتطور الذي بلغته العلوم الطبيعية والدقيقة، لهذا عرف الفكر الغربي عدة محاولات في مجال الدراسات وخاصة مع بداية القرن التاسع عشر حينما انفصلت العلوم الإنسانية عن الفلسفة، ومن أجل معرفة حقيقة الطابع العلمي والموضوعي لهذه العلوم وجب علينا أن نطرح جملة من التساؤلات التي تساعدنا في فهم العلوم الإنسانية والاجتماعية، وعليه نقول ما المقصود بالعلوم الإنسانية والاجتماعية؟ هل يمكن دراسة الظواهر الإنسانية دراسة موضوعية؟ ما علاقة العلوم الإنسانية والاجتماعية بالعلوم الطبيعية والدقيقة؟ ماهي رؤية كلود ليفي ستراوس للعلوم الإنسانية والاجتماعية؟ وهل استطاع ليفي ستراوس أن يدرس الأنثروبولوجيا دراسة علمية موضوعية؟ ما هي مهام وطموحات الأنثروبولوجيا في نظر كلود ليفي ستراوس؟

نحاول من خلال هذه الورقة البحثية التطرق إلى إشكالية الموضوعية في العلوم الإنسانية والاجتماعية ومعرفة تصور ورؤية كلود ليفي ستراوس حول ما إذا كانت هذه العلوم قابلة للدراسة العلمية كالعلوم الدقيقة والطبيعية انطلاقاً من تتبع آرائه وتصوراته الموجودة في ثنايا مؤلفاته كالأنثروبولوجيا البنوية، وذلك لمعرفة حقيقة الظواهر الإنسانية من خلال دراسته للأنثروبولوجيا باعتبارها علماً يطمح للموضوعية، وتكون نموذجاً للعلوم الإنسانية والذي يسعى من خلالها التعرف على حقيقة الوجود الإنساني، لكن قبل التطرق لرؤية ليفي ستراوس حول العلوم الإنسانية

والاجتماعية يجب أن نتعرف على مفهوم العلوم الإنسانية والتطرق إلى أهم المحاولات التي تناولت العلوم الإنسانية والاجتماعية بهدف الكشف عن علميتها وموضوعيتها. يجمع المفكرون والعلماء على أن العلوم الإنسانية تدرس الانسان بصفته من العالم ، كما أنها " تلك التي تدرك العالم على أنه ينطوي على معان، وتتكون معرفتها بتلك المعاني، وهذا يعني أن علوم الانسان تحاول النفاذ إلى الافكار والمشاعر والمعاني والمقاصد التي تقف وراء الواقع ، أو التعبيرات المختلفة وإدراكها إدراكا كيفيا"¹، لأن العلوم الإنسانية تحاول أن تجعل من ذاتها منفعة من أجل إعطاء الحلول للمشاكل التي يعاني منها الانسان .

يرى ميشال فوكو " أن العلوم الإنسانية لم تتوارث تراثا واضح المعالم ، لأنها كانت منضوية تحت الفلسفة ، ومع بداية القرن الثامن عشر بدأت هذه العلوم تفترض فكرة وجود الانسان كذات قابلة للدراسة والبحث "²، وهذا يؤكد على اهتمام العلماء والفلاسفة بالعلوم الإنسانية من أجل إخضاعها لمجال البحث والدراسة إقتداء بالعلوم الطبيعية لأن " العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية يشتركان معا في عنصرين أو خصيصتين أساسيتين للمشروع العلمي هما الحاجة أو الدافع إلى السيطرة على الطبيعة ، خارج الانسان وداخله ، وافتراض خضوع هذه الطبيعة لقانون أومسار محتوم يمكن كشفه ومعرفته"³، وهذا ما جعل العلماء يبحثون عن مناهج تدرس الظواهر الإنسانية لأن " العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية على السواء تحاول تجديد نفسها بالرجوع إلى العلوم الدقيقة والطبيعية التي تستأثر بخفايا المنهج العلمي"⁴، ليساعدها في بلوغ الصرامة العلمية والموضوعية التي حققتها العلوم الدقيقة

مجموعة مؤلفين ،قضايا العلوم الإنسانية إشكالية المنهج، تق: يوسف زيدان، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة
1، مصر، (د ط) .، ص16.

درويش ،محمود أحمد، مناهج البحث في العلوم الإنسانية، مؤسسة الأمة العربية للنشر والتوزيع ،مصر (د
2ط)، سنة 2018. ص ص 11 - 12 .

قصبوى ،صلاح، الموضوعية في العلوم الإنسانية، دارالتنوير للطباعة والنشر ،بيروت ،لبنان ، ط2،
3سنة 1984، ص24.

ليفى ستراوس ،كلود ، الأنثروبولوجية البنوية ،ج2، تر: مصطفى صالح، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد
4القومي ، دمشق ،سوريا، (د ط)، سنة 1983، ص442.

والطبيعية، وفي هذا السياق يقول غادامير "فالعلوم الانسانية تسعى بدورها لأن تكون علوما تجريبية متحررة عن كل تدخل ميتافيزيقي ورافضة لكل تأسيس فلسفي للتاريخ الشامل"¹، وهذا يؤكد على رؤية وتصور غادامير للعلوم الانسانية محاولا الرد على المحاولات السابقة التي حاولت التأكيد على الطابع الموضوعي للعلوم الانسانية منطلقا من آراء العالم الفيزيائي هيلمهولتز الذي يؤكد على أن العلوم الطبيعية تعتمد على الاستقراء المنطقي في حين أن علوم الفكر تعتمد على الاستقراء الفني لأن "العلوم الانسانية تربط بالبرقة والدقة وفن الممارسة الذاتية أكثر منه بمنهج مطبقة وقواعد صارمة، الطابع العلمي لهذه العلوم يتجلى في مفهوم التكوين الفكري* انطلاقا من فكرة العلم الحديث²، وعليه نقول بأن غادامير يهدف إلى التأكيد على الفهم الذاتي للكشف عن خصوصية العلوم الانسانية محاولا السير في نهج المدرسة الألمانية " التي اعتبرت الفهم محورا أصيلا في منهج العلوم الانسانية في مقابل المعرفة التجريبية التي تميز العلوم الطبيعية فبينما تكون المعرفة الاخيرة خارجية وتجريبية وكمية يتجه الفهم نحو أعماق الوقائع لكي ينفذ إلى المعاني والأفكار فيدركها إدراكا كيفيا خالصا ومن المحال إخضاع المعرفة الكيفية إلى المعرفة التجريبية الكمية"³، وهي نفس رؤية وتصور الفيلسوف الألماني دلتاي الذي حاول التأكيد على الفهم في معرفة العلوم الانسانية لأن فلسفة دلتاي " محاولة للجمع بين التفسير السببي لمختلف الظواهر الانسانية والتساؤلات ذات الطابع الفلسفي لفهم الوجود الانساني"⁴، في حين نجد محاولة الفيلسوف هوسرل المتمثلة في إبداع منهج جديد محاولا جعل الفينومينولوجيا كمنهج

غادامير، هانس غيورغ، فلسفة التأويل، الأصول - المبادئ - الأهداف، تر: محمد شوقي الزين، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط2، سنة 2006، ص 152.

*التكن الفكري: (رقة ودقة وحذاقة وتعلم وممارسة ذاتية وفراسة) هو الذي يحدد إطار العلوم الانسانية. أنظر: غادامير، فلسفة التأويل، المرجع نفسه، ص15.

²المرجع نفسه، ص15.

³ مجموعة مؤلفين، قضايا العلوم الانسانية إشكالية المنهج، المرجع السابق، ص18.

⁴ درويش، محمود أحمد، مناهج البحث في العلوم الانسانية، المرجع السابق، ص 15.

في بداية القرن العشرين، وجعله للفلسفة علما وضعيا دقيقا لأن " الفينومينولوجيا شأنها شأن سائر التيارات الفلسفية التي خرجت من أعطاف القرن العشرين، منهج أكثر منه مذهبا، وأسلوب للبحث أكثر منه تشييدا لبناء، فقد كانت جهدا مستميتا لإزالة الهوة بين العلوم الطبيعية والإنسانية مدعية أنها تصلح من شأن الأخيرة مهما كانت نظرتنا لطبيعة الظاهرة الإنسانية¹، أما أنصار المدرسة الوضعية المنطقية الذين حاولوا وضع أسس التفكير العلمي، وذلك بجعل الفلسفة علما وضعيا قائما بذاته بحيث عملت على " رفض الفلسفة التقليدية بما في ذلك رفض الفلسفات المثالية والميتافيزيقا لحساب العلم والتفكير العلمي ... وقد حصروا الفلسفة في وضع أسس التفكير العلمي أو خدمة العلم الوضعي وربطوا التراث التجريبي بالتطور الجديد في المنطق"².

إنها جملة من المحاولات التي تطرقت في دراستها إلى الطبيعة البشرية باعتبارها كذات قابلة للدراسة وذلك بمراعاة خصوصية العلوم الانسانية التي تتميز بخصائص فريدة محاولين إيجاد المنهج المناسب لإضفاء الطابع العلمي للعلوم الانسانية ومماثلتها بالعلوم الفيزيائية والطبيعية، وعليه نقول ما علاقة العلوم الانسانية بالعلوم الطبيعية والدقيقة؟ و ماهي المهام الأساسية للأنثروبولوجيا من منظور كلود ليفي ستراوس؟ وهل استطاع أن يجعل من الأنثروبولوجيا علما وضعيا قائما بذاته؟

يعتبر كلود ليفي ستراوس أحد أبرز الفلاسفة الأنثروبولوجيين الذين أحدثوا ثورة منهجية في مجال المعرفة والعلوم من خلال تخصصه الأنثروبولوجيا بحيث وجه جملة من الانتقادات للفلسفة السابقة ومناهجها المتبعة، مع العلم أن تصوراته وأفكاره لم تنشأ من العدم وإنما تأثرت بالثورة العلمية التي ظهرت في القرن العشرين محاولا الاستفادة من مفاهيمها ومناهجها وتطبيقها في مجال العلوم الانسانية لأن " بنيوية ليفي ستراوس فلسفة ونظرية ومنهج تقدم نفسها للعلوم الانسانية ليس فقط على أساس الإدعاء الفلسفي بأنها هي التي حققت استبصارا متميزا في الطبيعة الانسانية،

الخولي، بمعنى طريف، مشكلة العلوم الانسانية تقنيها وإمكانية حلها، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، (د ط)، سنة 2012. ص 40.

أبو السعود، عطيات، الحصاد الفلسفي للقرن العشرين، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، (د ط)، سنة 2002. ص 22.

ولكن بشكل أكثر جوهرية على أساس منجزاتها العلمية¹ ، لأن هدف ليفي ستراوس هو تجاوز مجال الأنثروبولوجيا الضيق إلى مجال العلوم الانسانية والاجتماعية وذلك بتطبيق منهجه البنيوي العلمي من أجل بلوغ الموضوعية في العلوم الانسانية متأثرا بالتطور العلمي للعلوم الطبيعية والدقيقة نظرا لتطبيقها المناهج العلمية والتجريبية وهذا ما أدى بالعلوم الانسانية إلى إتباع نمط هذه العلوم باستعمالها للمنهج العلمي في دراستها للظواهر الانسانية وهذا ما يؤكد عليه ليفي ستراوس في قوله " وقد انقلب الوضع منذ عدة سنوات بفعل النتائج المدهشة التي توصلت إليها العلوم الطبيعية والدقيقة ويلاحظ تحريض متزايد للعلوم الاجتماعية والإنسانية على المضي بدورها في إثبات منفعتها"² ، والذي يؤكد بأن العلوم الانسانية حاولت إتباع نمط العلوم الطبيعية والدقيقة باستعمالها لمناهج متعددة من أجل بلوغ الموضوعية ، وهذا ما حاول ليفي ستراوس القيام به بغية جعل الأنثروبولوجيا تتميز بالعلمية والموضوعية متأثرا بالألسنية البنيوية ومؤكدا على " حرص الأنثروبولوجيا في اتباع الطريق المؤدية إلى المعرفة الوضعية للوقائع الاجتماعية من علم اللغة الحديث"³ .

يحاول ليفي ستراوس ربط الأنثروبولوجيا بمجالات علمية أخرى بهدف تأسيس فلسفة ذات طابع علمي ، لأن طموحه هو معالجة القضايا الفلسفية والمنهجية التي عجزت عنها الفلسفات السابقة محاولا إعطائها بعدا علميا يتماشى مع التطور العلمي المعاصر الذي بلغته العلوم الدقيقة والفيزيائية ، لأن مسألة الموضوعية في العلوم الطبيعية والدقيقة لا يمكن الشك فيها أبدا " فهذه العلوم موجودة منذ وقت طويل ،وقدمت من البراهين العديدة والساطعة على قيمتها ما يكفي لاعتبار مسألة واقعيتهما محلولة ، فليس ثمة من مشكل أولي يطرح نفسه فيما يخصها: بما أنها موجودة ، فمن المشروع أن

1 ، كلارك ، سايمون ، أسس البنيوية ، تر: سعيد العليمي ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، سنة 2015 ، ص 55.

2 ليفي ستراوس ، كلود ، الأنثروبولوجية البنيوية ، ج2 ، تر: مصطفى صالح ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، سوريا ، (د ط) ، سنة 1977 ، ص 418.

3 المصدر نفسه ، ص 49.

يطلب إليها ماتفعله، وأن تضيف طريقة وصولها إليه¹، لهذا يرى ليفي ستراوس بأن العلوم الإنسانية بإمكانها الاقتداء بالعلوم الطبيعية والدقيقة إذا ما استعملت مناهج بنوية لأن "في الواقع، تقوم هذه المناهج على تخفيض عدد المتغيرات منهجياً باعتبار أن موضوع الدراسة لضرورات القضية، يشكل منظومة مغلقة، ومن جهة ثانية، بمحاولة قصر الدراسة على متغيرات من نموذج واحد، مع احتمال تجديد العملية من زوايا أخرى"²، محاولاً تقريب العلوم الإنسانية من الموضوعية، لأن الانثروبولوجيا البنيوية تسعى إلى تحقيق الصرامة العلمية نظراً لتوفرها على شروط المعرفة العلمية، لأن "العلوم الإنسانية تأخرت كثيراً عن العلوم التجريبية، ولكن في القرن التاسع عشر، فإن الوضع تغير كثيراً نتيجة تطور العلوم التجريبية في مناهجها، وهذا الوضع الجديد استغلته العلوم الإنسانية لتجعل من ذاتها منفعة ومصالحة كبرى تحاول بذلك حل مشاكل الإنسان"³، وهذا التطور للعلوم الإنسانية جاء نتيجة انفصالها عن الفلسفة فظهرت محاولات عديدة ومتنوعة كان تأثيرها بارزاً على كلود ليفي ستراوس والمتمثلة في محاولة مارسيل موس ودوركايم بحيث عمل الأول على تحرير "الإنسان من ذلك التضاد الخاطئ بين التفسير في العلوم الفيزيائية والتفسير في العلوم الإنسانية وهو تضاد كان قد أدخله مفكرون مثل ديلتي وشبنجلر"⁴، أما دوركايم عمل على اعتبار الوقائع الاجتماعية بمثابة أشياء، ومستعينا بالإحصاء في تناوله للظواهر الاجتماعية كالانتحار، بالإضافة إلى الدراسة التي قام بها راد كليف براون بحيث يقول "تكون الإناسة الاجتماعية عبارة عن علم استقرائي يلجأ كسائر العلوم التي من هذا الطراز إلى مراقبة الوقائع - فيصوغ الفرضيات- ويخضعها لمحك الاختبار في سبيل اكتشاف القوانين العامة للطبيعة والمجتمع"⁵، وهذا ما جعل ليفي ستراوس يقدم رؤيته النقدية لتصور راد كليف براون ومنهجه الذي يؤكد على نموذج العلوم

¹ المصدر نفسه، ص 415.

² ليفي ستراوس، كلود، الانثروبولوجية البنيوية، ج2 المصدر السابق، ص 430-431.

³ درويش، محمود أحمد، مناهج البحث في العلوم الإنسانية، المرجع السابق، ص 12.

ليفى ستراوس، كلود، مقالات في الأناسة، تر: حسن قبيسي، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع،

⁴ بيروت، لبنان، (د ط)، سنة 2008، ص 69.

⁵ المصدر نفسه، ص 73.

الاستقرائية التي كانت متبعة في القرن التاسع عشر بحيث يقول " بالمقابل ، نجد بيننا كثيرا من الباحثين الذين لديهم ، حول مستقبل الإناسة الاجتماعية ، رؤى أكثر تواضعا من تلك التي كانت تشجعها طموحات راد كليف براون الواسعة ، أن هؤلاء لا يتصورون الإناسة الاجتماعية على غرار نموذج العلوم الاستقرائية كما كانت معروفة في القرن التاسع عشر بقدر ما يتصورونها بوصفها سستامية تهدف إلى تعيين الأنماط وفهرستها ، وتحليل أجزائها المكونة لها ، وبلورة العلاقات المتبادلة فيما بينها"¹ .

يهدف ليفي ستراوس الابتعاد عن النموذج الاستقرائي المتبع من طرف المدرسة البنائية الوظيفية محاولا إتباع المنهج البنيوي في دراسته للظواهر الأنثروبولوجية من أجل الكشف عن بنيتها العقلية لأن " البنيوية ليست مذهبا فلسفيا جديدا بقدر ما هي منهج في المعرفة العلمية احتذى بالنجاح الذي حققته علوم اللغة بهدف الوصول إلى مرتبة العلم المنضبط على نمط العلوم الطبيعية"² ، وهذا هو الهدف الأساسي لرائد الأنثروبولوجية الاجتماعية محاولا الكشف عن حقائق العقل البشري والبنية الخفية المتوارية في دراسته للظواهر الاجتماعية والإنسانية والكشف عن قصور المناهج الوضعية في دراسة الظواهر الإنسانية محاولا بناء تصور ورؤية تختلف على أنصار الاتجاه البنائي الوظيفي الذين حاولوا " المزوجة بين المنهج المقارن والاتجاه الوظيفي في الدراسات والبحوث الأنثروبولوجية ، حتى يتمكن من دراسة الظواهر الاجتماعية في سياقها الكلي ، من ناحية ، والتعرف على الأدوار والوظائف التي يؤديها كل نظام من النظم الاجتماعية من ناحية أخرى ، لمعرفة طبيعة البناء الاجتماعي للمجتمع ككل"³ ، وعليه نقول بأن البنيوية هي المدخل الوحيد لتحقيق فهم أوسع وأدق للعلوم الإنسانية والاجتماعية ، وذلك بإحداث القطيعة مع الفلسفة التقليدية من أجل تأسيس المعرفة على أساس موضوعي، ومن أجل إعطاء بعدا علميا وموضوعيا لأعماله الأنثروبولوجية قام ليفي ستراوس بإجراء مقارنة بين التاريخ والاثنولوجيا باعتبارهما يسعيان لتحقيق هدف واحد هو السعي لإبراز حقيقة الإنسان بحيث يقول ستراوس"

¹ ليفي ستراوس ، كلود ، مقالات في الأناسة المصدر السابق ، ص 74 .

² أبو السعود ، عطيات ، الحصاد الفلسفي للقرن العشرين ، المرجع السابق ، ص 15 .

³ مجموعة مؤلفين ، قضايا العلوم الإنسانية إشكالية المنهج ، المرجع السابق ، ص 117 .

حتى التوازي الذي رسمناه بإيجاز بين التاريخ والاثنولوجيا لا يصمد أمام النقد، لأنه إذا كان كل مجتمع بشري يصلح موضوعاً للأثنوغرافيا، من الناحية النظرية على الأقل ... فلا تصلح كلها موضوعاً للتاريخ لنقص الوثائق المكتوبة بالنسبة لمعظمها"¹، لأنه يرى بأن التاريخ يبقى بعيداً عن تحقيق الشروط العلمية نظراً لتلك الصعوبات المنهجية التي تعترضه، في حين يؤكد على أن الأثنوبولوجيا البنوية تسعى إلى تحقيق الصرامة العلمية، لأنها تتوفر على شروط المعرفة العلمية خاصة وأن طموحها هو بلوغ الموضوعية والكلية وهذا ما جعل ليفي ستراوس يقلل من أهمية التاريخ مؤكداً على أن "المعرفة التاريخية مهما بلغت قيمتها (ونحن لا نشك بهذه القيمة) لا تستحق أن توضع مقابل الأشكال المعرفية الأخرى بوصفها ذات امتياز مطلق"².

يحاول ليفي ستراوس التأكيد على علمية الأثنوبولوجيا وذلك بتطبيق المنهج البنوي في دراسته للظواهر الأثنوبولوجية وبناء معرفة وضعية للوقائع الاجتماعية محاولاً الوصول إلى مبدأ تفسير للعلوم الإنسانية بحيث يقول "في الحقيقة تبدو وظيفة العلوم الإنسانية أنها واقعة في منتصف الطريق بين الشرح والتنبؤ كما لو كانت عاجزة عن التصميم على السير في هذا الاتجاه أو ذاك ولا نقصد أن هذه العلوم غير نافعة نظرياً وعملياً، بل تقاس منفعتها على الأصح بتقدير للاتجاهين لا يقبل أياً منهما بصورة تامة، بل يحتفظ بقليل من كل منهما مكوناً هكذا موقفاً أصيلاً يلخص الرسالة الخاصة للعلوم الإنسانية"³، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن ستراوس يسعى إلى الكشف عن مبدأ التفسير للعلوم الإنسانية والاجتماعية مؤكداً على أن وظيفتهما تقع في منتصف الطريق بين التفسير والتنبؤ ومن جهة أخرى لم ينكر تلك الصعوبات التي تواجه الباحث أثناء المرحلة التفسيرية وذلك بسبب أن "مجموع العلوم المصنفة في باب العلوم الاجتماعية والإنسانية لا يقع، من الناحية المنطقية، على مستوى واحد، أضف أن المستويات التي تتعلق بها هذه العلوم عديدة ومعقدة وصعبة التحديد

¹ ليفي ستراوس، كلود، الأثنوبولوجية البنوية، ج2، المصدر السابق، ص ص 423-424.

ليفي ستراوس، كلود، الفكر البري، تر: نظير جاهل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط3، سنة 2007، ص 314.

³ ليفي ستراوس، كلود الأثنوبولوجية البنوية، ج2، المصدر نفسه، ص ص 421-422.

أحيانا¹، وهذا ما توصل له ليفي ستراوس من خلال المقارنة بين العلوم الفيزيائية والعلوم الانسانية محاولا الكشف عن ذلك الاختلاف الأساسي الموجود بينهما ومؤكدا على أن العلوم الفيزيائية " هي وحدها التي تستطيع القيام بتجارب وتكررها على نحو متطابق في أزمنة أخرى وأمكنة أخرى، لأن العلوم الانسانية تستطيع القيام بذلك أيضا، إن لم يكن كلها فعلى الأقل تلك الجديدة - كعلم اللغة، والاثنولوجيا في نطاق ضعيف بإدراك عناصر قليلة ومتواترة، مركبة بصورة مختلفة في عدد كبير من المنظومات، وراء الخصوصية الزمانية والمكانية لكل منظومة منها"².

لا أحد ينكر تلك المحاولة التي قام بها ليفي ستراوس من أجل دراسة العلوم الانسانية ضمن مؤلفه الانثروبولوجيا البنيوية دراسة علمية وموضوعية مبينا الآليات المتبعة في فهم تلك العلوم من جهة ومن جهة ثانية الصعوبات المنهجية التي تواجهها مؤكدا في الاخير بأن هناك مقاربتان " أحدهما علمية بروحها: هي مقارنة العلوم الدقيقة والطبيعية التي تدرس العالم، وتحاول العلوم الانسانية أن تستلهم منها عندما تدرس الانسان بصفته من العالم، أما الثانية التي توضحها العلوم الاجتماعية فتستعمل بلا ريب تقنيات مستعارة من العلوم الدقيقة والطبيعية، ولكن العلاقات التي تقيمها على هذا النحو مع هذه الاخرة هي خارجية وليست داخلية"³، وهذا ما كشفت عنه الدراسة التي قام بها ستراوس للعلوم الانسانية والاجتماعية معتمدا على التفسير للكشف عن النسق الرمزي المغلق وذلك بإتباع التحليل البنيوي الذي يهدف إلى " البحث عن الثابت أو هو البحث عن العناصر الثابتة فيما بين الاختلافات السطحية"⁴.

إذن ستراوس يؤكد على وجود قوانين ثابتة لا تتغير رغم التعدد الثقافي والبشري تبقى الطبيعة البشرية واحدة لأن وراء تلك الاختلافات السطحية للبشر هناك دوافع ثابتة لا تتغير لهذا كان توجه ستراوس إلى المجال الانثروبولوجي محاولا تطبيق المنهج البنيوي

¹ ليفي ستراوس، كلود الانثروبولوجية البنيوية، ج2، المصدر السابق، ص 422.

² المصدر نفسه، ص 420.

³ المصدر نفسه، ص 441.

⁴ ليفي ستراوس، كلود، الاسطورة والمعنى، تر: شاكر عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،

العراق، ط1، سنة 1986، ص27.

على الظواهر الانسانية والاجتماعية من أجل دراستها دراسة علمية وموضوعية، ومن أجل فصل العلوم الانسانية والاجتماعية عن الفلسفة، وهذا ما أدى به إلى نقد ودحض الفلسفة محاولا تقديم جملة من المهام أو المميزات الخاصة بالأنثروبولوجيا التي تضيف عليها الصبغة العلمية بحيث يقول ستراوس " طموح الأنثروبولوجيا الأول هو بلوغ الموضوعية وترسيخ حسها وتعليم مناهجها، ومع ذلك ينبغي توضيح مفهوم الموضوعية المشار إليه، فالأمر يتعلق فقط بموضوعية تتيح لمن يمارسها صرف النظر عن معتقداته وإثاراته وآرائه المسبقة، لأن مثل هذه الموضوعية تميز جميع العلوم الاجتماعية وإلا لما استطاعت هذه العلوم الطموح إلى مرتبة العلم"¹، ولهذا نجد ليفي ستراوس يؤكد على الموضوعية في مجال الأنثروبولوجيا ويذهب إلى أبعد من ذلك بإتباع منهج علمي يماثل المناهج المتبعة في العلوم الطبيعية من أجل تأسيس العلوم الانسانية على أساس علمي وموضوعي وذلك باستبعاد الآراء المسبقة والمعتقدات لأن " الأنثروبولوجي لا يكبح مشاعره فحسب بل يصوغ أيضا مقولات عقلية جديدة، ويسهم في إشاعة بعض مفاهيم الزمان والمكان، والتقابل والتناقض البعيدة عن الفكر التقليدي بعد المفاهيم التي يعثر عليها اليوم في بعض فروع العلوم الطبيعية"²، في حين نجد أن الميزة الثانية تتمثل في الكلية بحيث يقول ستراوس "طموح الأنثروبولوجيا الثاني هو الكلية فهي ترى في الحياة الاجتماعية نظاما ترتبط جميع جوانبه ارتباطا عضويا، وتقر راضية بأنه لا بد لتعميق معرفة بعض أنماط الظواهرات من تجزئة مجموع مثلما يفصل العالم النفسي الاجتماعي و رجل القانون والاقتصادي والاختصاصي في العلوم السياسية"³، وهذا يؤكد على أن الكلية عبارة عن خاصية تابعة من خصائص البنية، لأن أهمية المنهج البنوي تتحدد من خلال نظرية النماذج " وتهتم اهتماما شديدا بطريقة النماذج (التي تطبقها هي نفسها في بعض مجالات مثل مجال القرابة) لكي لا تقبل بشرعية هذه النماذج الخاصة"⁴، لأن هذه النماذج تعتبر كقاعدة أساسية في فكر ليفي ستراوس بحيث يحاول " الأنثروبولوجي بناء النماذج، فإنما يقصد دائما

¹ ليفي ستراوس، كلود، الأنثروبولوجية البنوية، ج1، المصدر السابق، ص417.

² المصدر نفسه، ص417.

³ ليفي ستراوس، كلود، الأنثروبولوجية البنوية، ج1، المصدر السابق، ص418

⁴ المصدر نفسه، ص418

اكتشاف شكل مشترك بين تجليات الحياة الاجتماعية المختلفة ويعثر على هذه النزعة وراء مفهوم الواقعة الاجتماعية التامة ،الذي أشاعه مارسيل موس ،وفي مفهوم النموذج الذي نعلم الأهمية التي أتخذها في الأنثروبولوجيا الأنجلوساكسونية خلال السنوات الأخيرة¹،وعليه نقول بأن ستراوس يؤكد على النظرة الشمولية والكلية وبناء النماذج يكون من خلال الواقع التجريبي ، أما فيما يخص الخاصية الثالثة والمتمثلة في الدلالة التي من خلالها تطمح الانثروبولوجيا إلى الكشف عن أهمية العلاقات ودلالاتها بحيث "يقال أن مجال الأنثروبولوجيا يكمن في المجتمعات غير المتمدنة ،الجاهلة للكتابة ... بيد أن هذه النعوت تخفي جميعها واقعا إيجابيا :فهذه المجتمعات قائمة على علاقات شخصية ،علاقات ملموسة بين الافراد ،على درجة أهم من العلاقات الأخرى بكثير"²،لأن أهمية الأنثروبولوجيا تكمن في الكشف عن البنية الرمزية اللاشعورية للظواهر الاجتماعية ومن أجل إثبات صحة أقواله حول المهام الخاصة بالانثروبولوجيا،يحاول ليفي ستراوس التأكيد على الخطوات الأساسية لمنهجه البنيوي المتمثل في الملاحظة والتجربة والوصف والمقارنة وتحديد العلاقات والتركيب في إطار نسق كلي والاعتماد على النماذج المتبعة من طرف الانثروبولوجي الذي يقوم بعمله الميداني في دراسته لثقافة مجتمع ما ،بحيث يبدأ ببناء النموذج انطلاقا من الملاحظات الأولية التي يكتشفها في دراسته وذلك باستبعاد الاحكام والآراء المسبقة من أجل بناء معرفة علمية بحيث يقول ستراوس " أن القاعدة الأساسية – بل الوحيدة- على مستوى الملاحظة هو وجوب ملاحظة جميع الوقائع ووصفها على نحو دقيق ،دون السماح للآراء النظرية المسبقة تشويه طبيعتها وأهميتها"³، لأن الملاحظة التي يعتمد عليها الأنثروبولوجي في دراسته الميدانية تتميز بالدقة والوصف السليم لجميع الوقائع دون الحكم على تلك الوقائع بأحكام مسبقة لهذا نجد ستراوس يؤكد على " أن الأنثوغرافيا والأثنولوجيا والأنثروبولوجيا لا تؤلف ثلاثة فروع علمية مختلفة ،أوثلاثة مفاهيم مختلفة عن دراسات واحدة ،بل هي في الواقع ثلاث مراحل أوثلاث لحظات من

¹المصدر انفسه، ص 418

²المصدر نفسه، ص 419

³ليفني ستراوس ،كلود ،الانثروبولوجية البنيوية ، ج1، المصدر السابق ، ص 329

بحث واحد، وإيثار هذا اللفظ أوداك يعبر فقط عن اهتمام مهيمن يتجه نحو نمط من البحث لا يستبعد النمطين الآخرين بأية حال"¹، وهذا يؤكد على أن هذه المفاهيم الثلاثة تشكل ثلاثة مراحل متبعة في مجال دراسة الظواهر الاجتماعية لهذا نجد أن المنهج البنيوي يعتمد على الملاحظة والتجربة والنموذج بحيث أن الملاحظة تكون مماثلة للأنثولوجية الوصفية التي يكون فيها الأنثروبولوجي مطالباً في دراسته الحقلية بجمع جميع الوقائع التي يلاحظها، أي بمعنى " يجب بناء النموذج بحيث يستطيع عمله تسويق جميع الوقائع الملاحظة"² من أجل البحث عن تلك العلاقات الموجودة بين جميع الوقائع الملاحظة، وهذا ما يؤكد عليه ستراوس " سيكون هذان المستويان متميزين دائماً، فملاحظة الوقائع وإعداد الطرائق التي تتيح استخدامها في تأليف النماذج لا يختلطان أبداً مع التجريب بواسطة النماذج عينها، أقصد " بالتجريب على النماذج "مجملة الطرائق التي تسمح بمعرفة كيفية رد فعل نموذج معين على التغيرات أو بمقارنة نماذج من طراز واحد أو من أنماط مختلفة ببعضها بعضاً"³، لأن الأنثروبولوجي يهدف إلى الكشف عن القوانين التي تحكم الظاهرة الاجتماعية من خلال دراسته القائمة على الملاحظة والوصف والتحليل لأن الملاحظة تعتبر كمرحلة أولى في عملية البحث التي يقوم بها الأنثروبولوجي للانتقال إلى مرحلة التجريب بواسطة النماذج لأن المرحلة الثانية يقوم فيها الأنثروبولوجي بتأسيس نماذج تصور بنية الواقع وهذه المرحلة تعادلها المرحلة الأنثولوجية التي تعتمد على المقارنة من خلال تبين أوجه الاختلاف والتشابه الموجودة بين المجتمعات، أي بمعنى " أن الأنثولوجيا تقوم على دراسة عدد كبير من المجتمعات دراسة مقارنة ومنهجية"⁴، وعليه نقول بأن المنهج البنيوي المعتمد من طرف ليفي ستراوس في دراسته للعلوم الإنسانية من أجل بلوغ الموضوعية يعتمد على الملاحظة والوصف والتجريب وبناء النماذج التي تساعد في الكشف عن تلك البنية

¹ المصدر نفسه، ص 408

² المصدر نفسه، ص 328.

³ ليفي ستراوس، كلود، الأنثروبولوجية البنوية، ج 1، المصدر السابق، ص 329.

⁴ المصدر نفسه، ص 337.

الخفية وراء الظواهر ، أي بمعنى الاعتماد على النماذج الاستنباطية من اجل الكشف عن البناء اللاواعي .

إلا أن ليفي ستراوس في دراسته للعلوم الانسانية ومدى تحقيقها للدقة والموضوعية التي بلغتها العلوم الدقيقة والطبيعية يشير إلى الصعوبات المنهجية التي تواجه الانثروبولوجي أثناء المرحلة التفسيرية بحيث " يفترض كل بحث علمي ثنائية الملاحظة وموضوعه ، ففي حالة العلوم الطبيعية يؤدي الانسان دور الملاحظ وموضوعه هو العالم"¹. وهذا ماحقته العلوم الطبيعية والدقيقة في دراستها بفضل منهجها التجريبي الذي يعتمد على الملاحظة والقيام بالتجارب وتكرارها في أزمنة وأمكنة أخرى من أجل بلوغ الموضوعية " أما وقائع العلوم الإنسانية فتخضع للفهم الذي ينفذ إلى المعاني الباطنة داخل الأشياء ، وأخيرا فإن وقائع العلوم الطبيعية يمكن التعبير عنها بلغة كمية بينما لا تخضع وقائع العلوم الانسانية للكم إذ أنها ذات طبيعة كيفية خالصة"². لهذا نقول بأن تطبيق النموذج العلمي للعلوم الطبيعية والدقيقة في مجال العلوم الانسانية والاجتماعية سيظل بعيدا لكنه يبقى كمشروع وكهدف لهذه العلوم في المستقبل وفي السياق نفسه يقول ستراوس " لا أعتقد أن علومنا الانسانية والاجتماعية تستطيع أن تطمح يوما للوصول إلى النظام الاساسي للعلوم الدقيقة . وقد حاولت على الأكثر القيام بخطوة صغيرة في هذا الاتجاه ، فالمتغيرات بها كثيرة جدا ، والملاحظ ممتزج بشكل لافكاك منه بموضوعات الملاحظة ، وأخيرا فإن الوسائل الفكرية التي يمتلكها الملاحظ لا تستطيع أبدا التعالي على الظواهر المدروسة لأن لهما مستوى التعقيد نفسه"³ ، لأن مشكلة العلوم الإنسانية هي مشكلة الإنسان باعتباره كائن يهتم أكثر بذاته وحين يتكلم ستراوس عن الذات فإنه يقصد الوعي حيث يقول "وهكذا يبدو الشعور عدوا خفيا لعلوم الإنسان من وجهين ، شعور عفوي ملازم لموضوع الملاحظة ، وشعور تأملي - شعور

¹ ليفي ستراوس ، كلود ، الانثروبولوجية البنوية ، ج2، المصدر السابق، ص 418

² مجموعة مؤلفين ، قضايا العلوم الانسانية اشكالية المنهج ، المرجع السابق، ص21.

ليفي ستراوس ، كلود ، من قريب ومن بعيد، تر: مازن م ، حمدان ، دار كنعان للدراسات والنشر والتوزيع ،

³ دمشق ، سوريا ، ط1، سنة 2000، ص168.

بالشعور- عند العالم"¹، وهذا يؤكد بأن الوعي هو العدو السري للعلوم الإنسانية سواء كان على مستوى الوعي العفوي والملازم للموضوع، أو الوعي المتأمل، ومن أجل تخطي هذه العقبة وجب القضاء على ذلك العدو الخفي، لأن القيمة العلمية للعلوم الإنسانية من المنظور البنيوي تتحدد عندما يتم القضاء على الذات من أجل الموضوعية وعلى الوعي من أجل اللاشعور.

يعتبر كلود ليفي ستراوس فعلا رائدا للأنثروبولوجيا البنيوية في الفكر الفرنسي المعاصر بفضل جهده العلمي الكبير وجرأته في طرح أفكاره بتطبيق المنهج البنيوي في العلوم الإنسانية والاجتماعية لبلوغ الموضوعية والتي تعتبر محاولة فريدة من نوعها، إلا أن هناك مبالغة في النزعة العلمية المفرطة، لأنه لم يستطع تحويل علم الأنثروبولوجيا إلى علم يقيني إقتداءً بالعلوم الطبيعية والدقيقة، وعلى الرغم من ذلك فإن العلوم الإنسانية والاجتماعية تحاول التمسك بالنزعة الوضعية وتطبيق مناهج العلوم الطبيعية في دراسة الظواهر الإنسانية والاجتماعية، كما أنها تهدف إلى تأسيس مناهج خاصة بها مع مراعاة خصوصية العلوم الإنسانية، وهذا ما يؤكد عليه غادامير "إننا ننتظر من العلوم الإنسانية أن تمنحنا نمطا ومستوى آخر من المعارف وهذا ينطبق أيضا على الفلسفة التي تتضمنها هذه العلوم، وعليه، عوض استحضار ما هو عام وشامل أي استعمال المناهج العلمية لكل علم على حده، فمن اللائق إذن الحديث عن خصوصية العلوم الإنسانية والدلالة التي يمكن أن تتخذها وكذا الأمر المتضمن في هذه العلوم الذي يدعوا إلى التفكير²، وذلك بهدف إضفاء بعدا علميا على العلوم الإنسانية والبحث عن المنهج المناسب الذي يراعي خصوصيات الظواهر الإنسانية والاجتماعية المدروسة وتقوم باستبدال التفسير باعتبار أنه يفترض انفصال الذات عن الموضوع المدروس بالفهم وذلك بالنظر إلى الظواهر الإنسانية في كليتها وشمولييتها، لأن الفهم أصبح كآلية معرفية تختلف عن تلك الآليات المعرفية المستعملة في مجال العلوم الطبيعية والدقيقة، لأن الفهم هو "العملية المعرفية المتميزة التي تستهدف

¹ ليفي ستراوس، كلود، الأنثروبولوجية البنيوية، ج2، المصدر نفسه، ص419.

² غادامير، هانس غيورغ، فلسفة التأويل، المرجع السابق، ص160.

استيعاب المحتويات العقلية الكامنة في كل تعبير"¹، وهذا فعلا ما حاول القيام به بعض الباحثين في مجال العلوم الإنسانية بهدف الكشف عن مناهج جديدة من أجل إضفاء الصبغة العلمية على الظواهر الإنسانية باستعمال مقولات عقلية جديدة للكشف عن الطابع العلمي والموضوعي للظواهر الإنسانية، وهذا ما نلاحظه من خلال المحاولة التي قام بها ريكمان بهدف ابتكار منهج جديد للعلوم الإنسانية يتمثل في تقديم " صورة نسقية متكاملة لمنهج العلوم الإنسانية معتمدا على مصطلحات المعنى والفهم والتعبير والسياق"².

خاتمة:

لا أحد ينكر المكانة البارزة التي يحتلها كلود ليفي ستراوس في الفكر الفلسفي الغربي نظرا لإسهاماته المعرفية والمنهجية محاولا تطبيق المنهج البنيوي في العلوم الإنسانية والاجتماعية لبلوغ العلمية والموضوعية، مستخدما النماذج الاستنباطية من أجل الكشف عن البناء اللاواعي، ومنتقدا الذات التي أصبحت تشكل عائقا من أجل تحقيق الموضوعية في العلوم الإنسانية، ومحاولا نقد قصور المناهج الوضعية المتبعة في مجال فهم الظواهر الاجتماعية، لأن طموحه هو رفع مستوى العلوم الإنسانية إلى مستوى العلوم الطبيعية والدقيقة وذلك بتطبيق المنهج البنيوي في دراسته للظواهر الأنثروبولوجية من أجل بلوغ الصرامة العلمية، وإعطاء فهم أوسع وأدق للعلوم الإنسانية الاجتماعية، ومحاولا السير في نهج أنصار المدرسة الاجتماعية الفرنسية وإتباع التقاليد البنيوية، ومتأثرا بكانط الذي حاول أن يجعل من الميتافيزيقا علما، بغية جعل الأنثروبولوجيا علما يتميز بالدقة وتكون نموذجا للعلوم الإنسانية لا سيما وأنها تجد في البنيوية سنداها الإبستمولوجي ومنهجها العلمي الذي يسعى إلى بناء النماذج إلا أن هناك مبالغة في النزعة العلمية نظرا لنسبية العلوم الإنسانية ولما تتميز به من تعقيد.

¹ مجموعة مؤلفين، قضايا العلوم الإنسانية إشكالية المنهج، المرجع السابق، ص 22.

² المرجع السابق، ص 20.

المصادر والمراجع:

1. أبو السعود، عطيات، الحصاد الفلسفي للقرن العشرين، منشأة المعارف، الاسكندرية، مصر، (د ط)، سنة 2002.
2. الخولي، يميني طريف، مشكلة العلوم الإنسانية تقنيها وإمكانية حلها، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، (د ط)، سنة 2012.
3. درويش، محمود أحمد، مناهج البحث في العلوم الإنسانية، مؤسسة الأمة العربية للنشر والتوزيع، مصر، (د ط)، سنة 2018.
4. غدامير، هانس غيورغ، فلسفة التأويل الأصول - المبادئ - الأهداف، تر: محمد شوقي الزين، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط2، سنة 2006.
5. قنصوة، صلاح، الموضوعية في العلوم الإنسانية، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 2، سنة 1984.
6. كلارك، سايمون، أسس البنيوية، تر: سعيد العلمي، المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، مصر، ط 1، سنة 2015.
7. ليفي ستروس، كلود، الأنثروبولوجيا البنيوية، تر: مصطفى صالح، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، سوريا، (د.ط)، سنة 1977.
8. ليفي ستروس، كلود، الأنثروبولوجيا البنيوية، ج 2، تر: مصطفى صالح، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، سوريا، (د.ط)، سنة 1983.
9. ليفي ستروس، كلود، الفكر البري، تر: نظير جاهل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط3، سنة 2007.
10. ليفي ستروس، كلود، مقالات في الأناسة، تر: حسن قبيسي، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (د.ط)، سنة 2008.
11. ليفي ستروس، كلود، من قريب ومن بعيد، تر: مازن م، حمدان، دار كنعان للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، سنة 2000.

12. ليفي ستروس، كلود الأسطورة والمعنى تر: شاعر عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط1، سنة 1986.
13. مجموعة مؤلفين، قضايا العلوم الإنسانية إشكالية المنهج، تق: يوسف زيدان الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة مصر (د ط).